

العلماء ورثة الأنبياء

(منهجية ثلاثة من كبار علماء العصر : ابن باز - الألباني - التّدوي ، والقصيدة مشروحة في كتيب

مستقل مطبوع بعنوان "منهجية ثلاثة... " للشاعر وموجود على موقعه في الإنترنت)

ذو القعدة ١٤٢٠هـ - فبراير ٢٠٠٠م

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه .. أما بعد :

فإن هذه القصيدة التي أنشأها الأخ الشيخ محمد الصادق ذكّرنا آلاماً تدمى لها القلوب ، وذلك بما عرضته من الحديث عن العلماء الأعلام الذين فقدتهم الأمة في عام واحد حتى كادت الساحة أن تخلو من أعلام الهدى ، وفي القصيدة نصائح جديرة بالاستفادة منها والعرض عليها .

نسأل الله عزو جلّ أن يُقيّض لهذه الأمة من يُعيدها إلى رحاب الإسلام من جديد ، وأن يوفق عامة المسلمين إلى العودة الصادقة إلى دينه ، إنه حميد مجيد ، والحمد لله رب العالمين .

١- الدكتور/عبد الوهاب الديلمي وزير العدل اليمني السابق. ٢- الشيخ/محمد الغيلي مدير عام مدارس القرآن بالمعاهد.

٣- الدكتور/عبد اللطيف هائل الأستاذ بجامعة صنعاء. ٤- الشيخ/عبد الله القهالي رئيس دائرة إعلام الإصلاح بالعاصمة.

٥- الشيخ/عبد الله صعتر عضو الهيئة العليا للإصلاح. ٦- الشيخ/سعد حنتوس مدير دار القرآن بصنعاء.

٧- الشيخ/محمد الأنسي الداعية المعروف. ٨- الدكتور/صالح الوعيل الأستاذ بجامعة صنعاء.

٩- الدكتور/حيدر الصافح الأستاذ بالمعهد العالي للإرشاد. ٩- الشيخ/عبد العزيز الزيري الداعية المعروف.

١٠- الشيخ/حمود شّار مدير دار القرآن بأرحب .

وإن دَمْعُ العُيُونِ جَرَى سَخِينًا

إِلْهِي مَا رَضَيْتَ فَقَدْ رَضِينَا

هُدَاةً بِالكِتَابِ وَمُهْتَدِينَا

وإن بَكَتِ القُلُوبُ عَلَى التَّوَالِي

رَجَالَ الْعِلْمِ أَرْبَابَ الْمَعَالِي
 وَأَعْلَامًا^١ بِحَقِّ عَامِلِينَ
 رَجَالًا لِلنُّبُوَّةِ وَارْتِينَا
 عَلَى سَنَنِ^٢ الْوَرَاثَةِ سَائِرِينَا
 كَأَنَّ نَبِينَا قَدْ عَاشَ فِيْنَا
 بِعُمُرِ الْوَارِثِينَ لَهُ قُرُونَنَا^٣
 وَإِذْ رَحَلْتْ بِهِمْ رُسُلَ الْمَنَائِيَا
 فَخَشَى الْإِرْثَ يَتَّبِعُهُمْ دَفِينَا
 وَإِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ أَيَّ عِلْمٍ
 إِذَا يَقْضِي بِقَبْضِ الْعَالَمِينَا^٤
 وَلَيْسَ الْعِلْمُ فَلْسَفَةً مَقَالًا
 وَلَا لَقَبَ الْعَلِيمِ وَلَا الظُّنُونَا
 وَلَكِنَّ الْعُلُومَ نُصُوصٌ وَخِي
 وَمَا اجْتَهَدَ الْعُدُولُ الْوَارِثُونَا^٥
 وَهُمْ فِي الذِّكْرِ مَرْجِعُ كُلِّ فِكْرٍ
 لِصَوْنِ الدِّينِ دِينِ الْمُسْلِمِينَا
 تَصَوَّرَ فِي الْمَصِيرِ فَتَى جَهْلُولًا
 يَقُودُ بِنَا الْقِطَارَ أَوْ السِّفِينَا
 وَهَبَ فِي الطَّبِّ مَنْ يَسْعَى فُضُولًا
 بِإِلَاعِلِمٍ وَقَدْ ثَقَبَ الْعُيُونَا
 فَكَمْ يَفْشُو بِذَلِكَ مِنْ فَسَادٍ
 وَغَمَطٍ لِلتَّخْصُّصِ كَيْ يَهُونَا^٦
 وَمَا شَرَعُ الْهُدَى كَلًّا مَبَاحٍ
 فَيَعْبَثُ فِي حِمَاهُ الْعَابِثُونَا

١ أعلاماً : العلم : الجبل ، والمقصود الرجال الذين يشبهون الجبال في بروزهم وظهورهم .
 ٢ سنن : طرق ، والمقصود أن علماء الشرع ورثة الأنبياء ، لأنهم يسرون على طرق الأنبياء وهدبهم .
 ٣ العلماء يجددون في هذه الأمة وراثته نبينا صلى الله عليه وسلم قرناً بعد قرن ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعيش بيننا كل هذه القرون .
 ٤ بسبب قبض العلم في آخر الزمان يموت العلماء كما في الحديث ، فنخشى انحسار إرث النبوة .
 ٥ وليس العلم الشرعي فلسفة ولا ألقاباً ولكنه نصوص الوحي واجتهادات العلماء الثقات .
 ٦ تصور جاهلاً بالقيادة يقود سفينة أو قطاراً !! أو فضولياً يتولى عمليات جراحية في العيون !! فكم ينتشر بذلك من فساد ! وأعظم من ذلك أن يتصدّر في العلم الشرعي غير الْمُحْتَصِينَ كمثل الصحفيين والمتقنين فيتكلّمون في الدّين والقضايا الشرعية .. وكان الخوض في ذلك كلاً مُبَاحٍ لكلِّ أحدٍ !! ..

مَعَاذَ اللَّهِ بَلْ وِرْدٌ مُتَّحٍ
لَمَنْ وِرَدَ الْمَوَارِدَ وَالْفُنُونَا
وَبِالتَّقْوَى عَدَالَتُهُ لِرَامَاً
وَالْأَكَاكَانَ كَالْمُسْتَشْرِقِينَا^١
وَتَضْيِيعُ الْعَدَالَةِ نَبْذُهُ هَدْيِي
تَعَهَّدَهُ الرَّسُولُ فَصَارَ دِينَنَا
أَيَعْبَثُ بِالْهُدَى قَوْمٌ تَبَارَوْا
وَصَارُوا لِلْعَدَاةِ مُقَلِّدِينَا؟
ضَلَالَاتُ التَّعَصُّرِ ضَاعَتْ عَنْهُمْ
فَهُمْ فِي جَهْلِهِمْ مُتَعَالِمُونَا
بَسَمْتٌ مُنْكَرٌ لَمْ تَلْقَ فَرْقَاً
إِذَا شَاهَدْتَ سَمْتَ الْمُنْكَرِينَا
أَرَأَيْكَ فِي الْأَرَائِكِ جَالِسُونَا
وَكَالِاطْفَالِ دَوْمَاً هَازِلُونَا
وَيُؤَلُّونَ السَّقَاسِفَ كُلَّ جُهْدِ
وَإِنْ ذَكَرَ الْجَهَادَ فَعَاْفَلُونَا
وَمَنْ هُمْ فِي الْوَرَى أَشْبَاهُ قَوْمِ
فَهُمْ مِنْهُمْ وَإِنْ حَلَفُوا يَمِينَنَا
وَقَدْ نَطَقَ النَّبِيُّ بِهِ صَاحِبًا
وَأَفْلَحَ مَنْ بِهِ يَنْشَبُّهُونَا^٢
أَيَزْعُمُ مُنْخَلٌ مَا اعْتَادَ صَوْنَاً
بَكُونِ الْمَاءِ دَاخِلَهُ مَصُونَا؟!

١ لا تكفي مجرد المعرفة بالعلم الشرعي ، لأن المستشرقين بهذا المعنى علماء وهم كفار ، بل لا بد من التقوى والعدالة .
٢ والعدالة تضييع بتقليد الكافرين والتنسب بهم واستيراد أفكارهم بحجة التعصُّن (أي مسابرة العصر) ، فيصبح سميت المقلدين (أي شكلهم) منكراً ، ودوائهم خاوية من الفهم كالأرائك ، ويؤثر ذلك في سلوكهم فيصيرون كالأطفال يهتمون بالسفاسيف ويتركون معالي الأمور كالجهاد ، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن من تشبهه بقوم فهو منهم .

وَيَفْخَرُ حَنْظَلٌ شَكْلًا وَلَوْنًا
 وَكَمْ مِنْ مَظْهَرٍ ظَرَفٌ لِفِكْرٍ
 وَأَقْلَامُ التَّعْصُرِنِ مَحْضٌ بُوقٍ
 وَلَيْسُوا عَارِفِينَ لَهُمْ بِحَقٍّ
 وَأَقْمَارُ الْهَدَايَةِ فِي وَقَارٍ
 وَفِي عَامٍ كَعَامِ الْحُزْنِ وَلَى
 سَلَامٌ لِلَّهِ يَا ابْنَ الْبَارِ حَيًّا
 تُذَكِّرُنَا دُمُوعَكَ حِينَ تَهْمِي^٦
 وَمَلِيُونَ بِيَوْمِكَ يَوْمَ صَلَّوْا^٧
 بِقَامَاتٍ مِنَ السَّادَاتِ وَلَّوْا
 وَعَرَّجَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى إِمَامٍ
 بِكَوْنِ الشَّهْدِ يَسْكُنُهُ مَكِينًا^١
 وَلَوْ مَارَى بِذَاكَ الْمُمْتَرُونَ^٢
 لِتَشْوِيهِ الْهُدَاةِ الْوَارِثِينَ
 إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ^٣
 وَلَوْ دَوَّى صَرِيرُ الْمُعْصِرِينَ^٣
 رَجَالَاتٍ ثَقَاتٍ شَامِحُونَ^٤
 وَفِي الْمَثْوَى وَيَوْمَ الْمُنْشَرِينَ^٥
 وَقَلْبٌ وَاسِعٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
 وَعَلِمٌ ضَاءَ دَرْبِ السَّالِكِينَ
 وَتَرْجُو سَبْقَكُمْ^٨ فِيهِمْ وَفِينَا
 فَتَى الْأَلْبَانِ مَا شَهِدَ الْقَرِينَا^٩

١ دخض لمزاعم المتعصرنين المستوردين للأفكار بأنهم عندما يزعمون التدنن ، كالمُنْخَل الذي لا يحفظ الماء أو الحنظل الذي يتشبه بالشهد أي : العسل .

٢ مَارَى : جَادَل ، الْمُمْتَرُونَ : الْمُتَشَكِّكُونَ .

٣ المقصود بالأقمار العلماء ، وبالمُعْصِرِينَ الْمُتَعْصِرِينَ من حملة الأفكار المُستوردة .

٤ من هنا بدأ ذُكِرَ الْعُلَمَاءُ الْثَلَاثَةُ الَّذِينَ مَاتُوا فِي عَامِ بَيْتِيهِ عَامِ الْحُزْنِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

٥ ابن البار : الشيخ ابن باز رحمه الله ، فِي الْمَثْوَى : أَي فِي الْقَبْرِ ، يَوْمَ الْمُنْشَرِينَ : يَوْمَ الْبَعْثِ .

٦ تَهْمِي : تُتَسَكَّبُ .

٧ صَلَّوْا : أَي صَلَاةَ الْجَنَازَةِ عَلَيْهِ .

٨ سَبَقَكُمْ فِيهِمْ وَفِينَا : أَي سَبَقَ ابْنُ بَازٍ فِي السَّابِقِينَ وَفِينَا .

٩ فَتَى الْأَلْبَانِ : الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَشْهَدْ عَالِمًا يَقَارُهُ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ .

وَكَمْ سُئِنَ بِهِ الرَّحْمَنُ أَحْيَا
 وَلَوْ لَمْ يُتَدْرَن لَمَا حَيَّيْنَا^١
 وَصَارَ النَّاسُ حَقًّا مُمْسِكِينَ
 بِقَائِمَةِ الصَّحِيحِ^٢ وَمُكْتَفِينَ
 وَمَنْ لِلنَّاسِ خَلْفَ نَفْعِ عِلْمٍ
 فَقَدْ أَبْقَى لَهُمْ عَيْنًا مَعِينًا
 فَحَيَّا اللَّهُ رُوحَكَ مِنْ فَقِيدٍ
 وَأَبْكَى الْهِنْدَ أَبْكَاهَا إِمَامٌ
 مَضَى عَنَّا أَبُو حَسَنِ فَأَفْضَى
 وَكَانَ الْجُهْدَ فِي الذِّكْرَى^٥ وَذَكَرٍ
 وَكَانَ الزُّهْدَ ذَلِكَ مَا عَلِمْنَا
 لَهُ السَّحْرُ الْحَلَالُ وَلَا يُرَى
 بِأَرْبَعِهَا^٨ أَفَاضَ وَرُبَّ فَذٍّ
 مِنَ الْأَعْلَامِ فَاقَ الْأَعْلَمِينَ
 وَكَانَ الْفَضْلَ وَالْخُلُقَ الْمَتِينًا
 وَنِعْمَ السَّبْقُ سَبْقُ الذَّاكِرِينَ
 وَكَانَ الْقَلَمَ الرَّصِينًا^٦
 بِأَقْطَابِ اللُّغَاتِ الْأَسْنِينَا^٧

١ لم يُتَدْرَنَ : أي السُّنَن وهي الأحاديث ، لما حَيَّيْنَا : يعني لو لم تُبَادِر الجهود بتوفيق الله لإحيائها ما حَيَّيْتُ .
 ٢ الصحيح : أي الأحاديث الصحيحة فقط ، عَيْنًا مَعِينًا : أي أَبْقَى لهم بعده نُبْعًا جاريًا من العلم يُتَهَلون منه باستمرار .
 ٣ الغابرين : السابقين .
 ٤ أي صلاة الجنازة على النذوي رحمه الله .
 ٥ كان النذوي رحمه الله يبذل الجُهد في الاستفادة من الذِّكْرَى ، سواء من التاريخ أم من المواعظ والنصوص أم من أي تذكير ، ويستفيد أيضاً من أوراد الذِّكْرِ .
 ٦ القلم الرِّصِينَا : يعني في مقالاته ومؤلفاته .
 ٧ السَّحْرُ الْحَلَالُ : المقصود به البَيَان ، وفي الحديث : "إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا" ، الْأَسْنِينَا : البارعين في ألسنتهم .
 ٨ بأَرْبَعِهَا أَفَاضَ : أي أكثر التأليف باللغات الأربع وهي العربية والإنجليزية والأردو والهندية .

وَرَغَمَ الْعَوْصَ فِي الْعَرَبِيِّ^١ مِنْهَا
 فَلَمْ يَغْرِقْ كَشَأْنِ الْأَكْثَرِيْنَ
 وَلَمْ تَمْسَخْ لَدَى النَّدَوِيِّ أَصْلًا
 وَلَا شَكْلًا وَلَا فَقَدَ الْحَيْنَا
 يُذَكِّرُ بِالصَّحَابَةِ كَيْفَ خَاضُوا^٢
 بَلَا بَلَلٍ بِدُنْيَا الْغَارِقِينَ^٢
 وَلَمْ يَنْصَبْ أُمَّتَنَا لِعَيْشِ
 وَلَا اكْتَسَبُوا الْمَرَافِقَ وَالشُّؤُونََا^٣
 أَمَا عَاشَ الرَّسُولُ عَلَى كَفَافٍ
 وَكَانَ بِمَسْكَنِ إِذْ كَانَ طِينَا؟
 وَخَيْرَ نِسْوَةٍ زَوَّجَاتِ صِدْقِ
 فَآثَرْنَ الْبَسَاطَةَ مَا بَقِينَا
 وَلَوْ شَاءَ الرَّسُولُ لَعَاشَ فَرْدًا
 فَرِيدًا فِي الْمُلُوكِ النَّاعِمِينَ
 وَلَكِنْ سَنَّ لِلتَّغْيِيرِ نَهْجًا
 هُوَ الْأَهْدَى وَجَرَّبْنَا قُرُونًا^٤
 وَلَيْسَ يُحَرِّمُ الزِّيِّنَاتِ لَكِنْ
 بِهِذَا الْعَزْمِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ^٥
 وَمَنْ طَلَبَ الْإِمَامَةَ دُونَ هَدْيِ
 كَهَذَا الْهَدْيِ حَتَّمَا لَنْ تَكُونَا
 أَقِيمُوا دَوْلَةَ الْإِسْلَامِ فِيكُمْ
 تَقُمْ فِي أَرْضِكُمْ حِصْنًا حَصِينَا

١ رَغَمَ عَوْصَ النَّدَوِيِّ فِي الْإِنْجِلِيزِيَّةِ فَلَمْ يَغْرِقْ فِيهَا وَلَمْ يَسْتوردْ مِنْ أَفْكَارِ أَصْحَابِهَا .
 ٢ لَمْ يَمْسَخِ الْعَوْصُ فِي الثَّقَافَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ مِنَ النَّدَوِيِّ أَصَالَتَهُ وَلَا شَكْلَهُ وَلَا حَيْنِيَّةَ إِلَى مُنْهَجِ الْإِسْلَامِ ، اقْتِدَاءً بِالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الَّذِينَ خَاضُوا فِي الدُّنْيَا بِضَوَابِطِ الشَّرْعِ فَلَمْ يُصِيبْهُمُ الْبَلَلُ .
 ٣ لَمْ يَتَّعِبِ الْأُمَّةَ الثَّلَاثَةَ مِنْ أَجْلِ الْعَيْشِ فَقَدَ تَكْفُلَ اللَّهِ بِالرِّزْقِ ، وَإِنَّمَا كَانَ هَمُّهُمُ التَّعْلِيمَ وَالِدَعْوَةَ ، وَلَا اكْتَسَبُوا لِأَنْفُسِهِمْ مَرَافِقَ الْأَثَاثِ وَشُؤُونََ الْحَيَاةِ الْفَارِهَةِ .
 ٤ وَكَانَ قَدْوَتُهُمُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِفَافِهِ وَمَسْكَنِهِ الطَّيْنِيِّ وَفِي تَخْيِيرِ نِسَائِهِ فَاخْتَرْنَ الْبَسَاطَةَ ، وَكَانَ يُمْكِنُ لِلرَّسُولِ أَنْ يَكُونَ كَالْمُلُوكِ ، وَلَكِنَّهُ اخْتَارَ الْأَنْسَبَ لِلتَّغْيِيرِ وَقَدْ جَرَّبْنَا قُرُونًا فَلَمْ يَنْجَحْ فِي التَّغْيِيرِ غَيْرَ هَذَا الْمَنْهَجِ .
 ٥ وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُحَرِّمُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُ إِمَامٌ يَأْخُذُ بِالْعَزِيمَةِ ، وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ الْأُمَّةُ .

وفي السُّودَانِ دَرَسٌ أَيْ دَرَسٍ بِهَذَا الْعَصْرِ لِلْمُسْتَعْرِبِينَ^١
 وَمَا التَّجْدِيدُ فِيمَا يَنْشُدُونَا سِوَى تَرْوِيحِ مَا يَسْتَوِرِدُونَا
 وَمَنْ يَكُ بِالْهُدَى فِيهِمْ غَرِيبًا فَطُوبَى هَا هُنَا لِلْمُعْرِبِينَ^٢
 وَتَجْدِيدُ الْهُدَى عَوْدٌ لِبَدءِ لِمَنْهَاجِ الصَّحَابِ السَّابِقِينَ
 بِهِ تُرْجَى النَّجَاةُ وَلَا انْقِطَاعُ لِبَطَائِفِ النَّجَاةِ الظَّاهِرِينَ^٣
 أَيْمَتُّنَا ثَلَاثَةٌ هُمْ عُذُولٌ وَلَا يَرْضَوْنَ بِدَعَا أَوْ مُجُونًا
 وَرَبُّوْا لِلْخِلَافَةِ جِيلَ صِدْقٍ بِأَقْطَارِ الْبَسِيْطَةِ جَاهِرِينَ^٤
 وَبِالْمَنْهَاجِ صَارَ لَهُمْ إِطَارٌ إِذَا اسْتَرَخَى إِطَارُ الْمُعْصِرِينَ
 وَهُمْ يَسْعَوْنَ فِي فُسْطَاطِ دِيْنٍ إِذَا اسْتَسْعَى النَّفَاقُ الْآخِرِينَ
 وَمَنْهَجُهُمْ شُمُولٌ وَاعْتِدَالٌ وَيَحْمُونَ الْعَقِيْدَةَ جَاهِدِينَ
 وَسَبْقٌ لِلْجَمَاعَةِ فِي صَلَاةٍ وَفِي الْأَسْحَارِ كَانُوا سَاجِدِينَ^٥

١ في السودان درسٌ للمستعربين ، وقد عمل السودان في البداية على إقامة دولة على منهجية الترابي فلم تقدّم نموذجاً سليماً لدولة الإسلام ، وكان بالإمكان إقامتها بالمنهجية الصحيحة بصورة متميزة ، وانقسم السودان بعد ذلك إلى دولتين ، إضافة إلى خلافات وصراعات مستمرة إلى الآن بسبب ما زرعه الفكر المستورد في السودان .

٢ طوبى للغرباء لأنهم في آخر الزمان أصحاب المنهج الصحيح كما في الحديث .

٣ والتجديد في الإسلام ليس المجيء بشيء جديد ، ولكنه تجديد لمنهج الرسول والصحابة بإزالة ما علق به وتنظيفه مما ليس فيه حتى يعود جديداً كما كان من قبل ، وبهذا تكون النجاة ، والتجديد مستمر في كل قرن بواسطة الطائفة الظاهرة التي لا تنقطع كما في الحديث المتواتر .

٤ ثم جاء ذكر المنهج التجديدي الذي سار عليه هؤلاء الأئمة الثلاثة .. فهم يرفضون البدع والمجون ، وربوا جيلاً للخلافة القادمة كما في الأحاديث ، ومنهجهم بإطار شرعي ، وأما العصرانيون فمنهجهم في استرخاء لا إطار له ولا ضوابط ، وسينتهي الأمر إلى تمايز الطرفين إلى فسطاطين أي معسكرين ، أحدهما للإيمان والآخر للنفاق ، ومنهج الأئمة هو الإسلام بشموله واعتداله وعقيدته والاهتمام بالعبادة ومن ذلك صلاة الجماعة وقيام الليل ... إلخ الأبيات في وصف هذا المنهج .

وَكَالتَّصْوِيرِ مَا فِيهِ اشْتِبَاهٌ
 وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ الْمُرْسَلِينَ
 وَمَا ارْتَاضُوا مَعَ السُّفْرَاءِ حِينًا
 وَلَنْ يَغَيَّرَ الْمُخَلَّطُ لَوْ أَرَادُوا
 وَمِثْلَ الْغَيْرِ يَزْعُمُ كُلَّ خَيْرٍ
 وَلَنْ تَرْضَى الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى
 وَمَنْ صَحِبَ الْوَلَاةَ بَلَا اغْتِرَازَ
 فَقَدْ أَلْقَى يَدَيْهِ بِلَا احْتِرَازَ
 وَقَدْ صَدَقَ الرَّسُولُ فَمَنْ أَتَاهُمْ
 وَكَمْ مِنْ قَادَةٍ فِي الدِّينِ فَارُوا
 بِرَغْمِ الْفِقْهِهِ وَالتَّقْوَى وَقَرْنِ
 فَلَا الْبَصْرِيَّ وَالثَّوْرِيَّ أَخَذَى
 تَحَاشَوْا فِعْلَهُ مُتَوَرِّعِينَ
 وَلَا ارْتَاضُوا مَعَ الْحُكَّامِ حِينًا
 بِأَنْ يَحْيَا بِتَخْلِيطِ مَكِينَا
 وَيَجْمَعُ مِثْلَهُ رَغْدًا وَطِينًا
 وَلَا الْأَذْيَالَ إِلَّا الْمُفْسِدِينَ
 وَلَا لَأَقَى مِنْ الذِّكْرِ مُعِينَا
 وَأَرْدَى نَفْسَهُ فِي الْهَالِكِينَ
 إِلَيَّ أَبْوَابِهِمْ لَقِيَ الْفُتُونَا
 بَعِيدًا عَنِ بَلَاطِ الْحَاكِمِينَ
 أَنَاخَ بَعْضِهِمْ فِي التَّابِعِينَ
 وَلَا التُّعْمَانَ أَوْشَكَ أَنْ يَلِينَا

١ أصحاب هذا المنهج لم يُروِّضهم سفراء الدول الأجنبية ولا الحكام العملاء .
 ٢ ولن يعجز أحدهم لو أراد أن يكون مُخلطًا أن يحيا بالتخليط ويقوم هؤلاء الأعداء بتمكينه ، ثم يزعم التأصيل لفعله وأنه خير ويجمع الرفاهية والكسب ،
 والحصيلة أنه طين وليس من الدين في شيء .
 ٣ من صحب الحكام بلا عزة ولا ذكرى فقد أهلك نفسه ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم أن من أتى أبواب السلطان افتتن كما في الحديث .

وَيَزْهَدُ مَالِكٌ فِيهِمْ وَيُؤْذِي ۱
 وَيَقْفُو الشَّافِعِيَّ الْأَوْلَيْنَا ۱
 وَيَصْمُدُّ أَحْمَدُ كَالطُّودِ صَمْدًا ۲
 وَلَوْ أَرْضَى الْوَلَاةَ أَضَاعَ دِينَنَا ۲
 أَصْحَاءُ السِّيَاسَةِ كُلُّ حِصْنٍ ۳
 بَنَى بِالشَّرْعِ مَوْقَعَهُ الْحَصِينَا ۳
 فَأَرْسَى الشَّرْعَ لَا يَخْشَى مَلَأْمًا ۴
 وَلَمْ يَلْحَقْ بِرُكْبِ الْمُدْهِنِينَا ۴
 بِذَا يَخْتَارُ يُوسُفُ فِي التَّاسِّي ۵
 وَخَيْرُ النَّاسِ أَفْضَلُهُمْ جِهَادًا ۵
 وَبَيْنَ اللَّيْنِ وَالْإِدْهَانِ فَرْقٌ ۶
 يُضَاهِي الْخَيْرَانَةَ وَالْمُدْهُونَا ۶
 رَوَى النَّدْوِيُّ مَا نَقَلَ السَّبَاعِي ۷
 عَنِ الْبِنَاءِ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَا ۷
 بِتَأْخِيرِ السِّيَاسَةِ وَالتَّصَدِّي ۸
 لِمَأْسَاةِ التَّنَافُسِ أَنْ تَكُونَنَا ۸
 رَوَاهُ لِشَرِّقْنَا فِي ذِكْرِيَّاتٍ ۹
 كَمَا أَهْدَى إِلَى (الإِخْوَانِ) بَحْثًا ۹
 وَسَمَاهُ التَّحَدُّثَ لِلْأَخِينَا ۱۰
 لَهُ إِذْ سَاحَ لَا كَالسَّائِحِينَا ۱۰

١ وسلفنا الصالح من الأئمة كالثوري وأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، وبعضهم من التابعين كالحسن البصري ابتعدوا عن بلاط الحاكمين .

٢ السياسيون فيهم الأصحاء وفيهم المرضى ، والأصحاء هم الحصون الذين يبنون مواقفهم على الشرع ، وما أفلهم !

٣ المُدْهِنُ : هو الذي يدهن في دينه من أجل الدنيا .

٤ القاسط : المُنْحَرَفُ أو الظالم ، والسياسي النموذج بفتدي بيوسف عليه السلام في صَبْرِهِ فِي حَمْلِ الْحَقِّ واحتمال النتائج .

٥ الْخَيْرَانَةُ لَبِنَةٌ مَرْنَةٌ قَابِلَةٌ لِمُنَاسِبَةِ الْوَاقِعِ ، بخلاف الدُّهُونِ التي ليس فيها مَرُونَةٌ وَإِنَّمَا ذُوبَانٌ وَمُيُوعَةٌ ، وهذا شبيهة بالفَرْقِ بَيْنَ اللَّيْنِ الَّذِي هُوَ خُلُقٌ إِسْلَامِيٌّ وَبَيْنَ الْمُدَاهَنَةِ الَّتِي هِيَ نِفَاقٌ .

٦ انظر (مذكرات سائح في الشرق العربي) للندوي فقد ذكر فيه أن د. مصطفى السباعي مسؤول الإخوان في سورية أخبره أن الإمام البنا في أواخر أيامه بعد سن الأربعين ، وذلك في أواخر أربعينيات القرن الميلادي الماضي ، ذكر له أنه يُنَوِي الْإِبْتِعَادَ عَنِ السِّيَاسَةِ لِأَنَّهَا تَتَأَسَّسُ ، وَيُرِيدُ الْإِتِّجَاهَ إِلَى التَّرْبِيَةِ وَالدَّعْوَةِ .

٧ انظر كُتَيْبٌ (أريد أن أتحدث إلى الإخوان) للندوي بتقديم المرشد (الفضيلي) ، وفيه يُصَحِّحُ الْإِخْوَانَ بِطَرِيقَةٍ هَادِنَةٍ لِبَقَاةِ التَّخْفِيفِ مِنَ السِّيَاسَةِ مِنْ أَجْلِ إِفْسَاحِ الْمَجَالِ لِلْوَأْجِبَاتِ الْآخَرَى ، وَقَدْ عَمَّ مَكْتَبُ الْإِرْشَادِ الْكُتَيْبَ عَلَى الْإِخْوَانِ بَعْدَ كِتَابَةِ الْمُرْشِدِ لِمُقَدِّمَتِهِ ، وَفِي الطَّبْعَةِ التَّالِيَةِ قَدَّمَ لَهُ الْغَزَالِي عَضُو مَكْتَبِ الْإِرْشَادِ .

وَحَدَّ بِهِ السِّيَاسَةَ عِنْدَ حَدٍّ
وَنَالَ بِمَكْتَبِ الْإِرْشَادِ فَهَمًّا
وَمَا خَوَّضَ السِّيَاسَةَ فِي فَرِيقٍ
سِوَى مُسْتَتَعٍ مَن خَاصَ فِيهِ
وَأَسْلَمَةَ السِّيَاسَةَ وَفَقَّ شَرْعٍ
وَتَنْقِيَةَ الطَّرِيقِ بِكُلِّ وَسْعٍ
هُوَ الْإِسْلَامُ سَاسَتُهُ نُجُومٌ
وَقَدْ أَرَسَى أُنْمَتَنَا امْتِنَاعًا
وَكَانَ لَهُمْ مَعَ الصُّحُفِ اكْتِفَاءٌ
وَفِي التَّلْفَازِ مُوسِيقَى وَنُكْرٌ
أَأْخَبَارٌ وَفِي الْأَطْبَاقِ شَرٌّ
وَتَفْتِيَتُكَ النَّسَاءُ أَضَرَّ فَتْنٍ
فَتُدْمِنُ مَا يُكْفِنُ كُلَّ خَيْرٍ
لِإِنْصَافِ الْفُرُوضِ الْآخِرِينَ
وَتَعْمِيمِهَا وَتَقْدِيمِهَا رِصِينًا
عَرِيقٍ فِي الْخَطَايَا كَاذِبِينَ
تَلَطَّخَ مِثْلَ بَاقِي الْخَائِضِينَ
بِتَرْبِيَةِ الْفَرِيقِ السَّائِسِينَ
وَتَنْحِيَةِ الرَّفِيقِ الْمُدْهِينَا
وَكَالْبَلُورِ لَيْسُوا مُدْخِينَا
عَنِ التَّلْفَازِ عَمَّ الْمُخْتَبِينَ
وَأَقْرَبُ لِلتَّقَى مَن يَكْتَفُونَا
وَأَخْبَارٌ وَبِئْسَ الْمُخْبِرُونَ
وَتَشْرِيهَا فَتَشْرِي مِنْكَ دِينَا؟!
كَمَا فِي قَوْلِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ
وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ لَهُ دَفِينَا

١ في هذا البيت والأبيات قبله بيان منهجية الإسلام في السياسة وأنها تعتمد الصدق وتربية السياسيين وإبعاد المداهنين ، فالسياسيون الإسلاميون ليس فيهم نخن فهم كالنجوم والبلور .

وَتَبَهَّرُكَ الْبَهَارُ زَائِفَاتٍ وَقَدْ تُزْرِي حَيَاةَ الْمُؤْمِنِينَ ١
 وَكَمْ مِنْ أَشْعَثِ وَرَعٍ وَبَرٍّ بِهِ يُسْقَى الْعِبَادُ وَيُنْصَرُونَ ١
 وَفِي الْقُرْآنِ مَوْعِظَةٌ وَعَثْبٌ عَنِ الْأَعْمَى وَحَقَرِ الْأُرْدَلِينَ ٢
 وَكُلُّ تَنَازُلٍ خَطْبٌ جَلِيلٌ وَإِنْ زَعَمُوا لِحِفْظِ الدِّينِ فِينَا ٣
 وَهَلْ فِي نَقْصِهِمْ لِلدِّينِ حِفْظٌ وَهَلْ يَنْبِي الْكَمَالَ النَّاقِصُونَ ٤
 لَقَدْ عَاشَ الصَّاحِبُ فِي ارْتِقَاءٍ وَعَاشَ الدِّينُ مُكْتَمِلًا مَصُونًا ٥
 وَلَوْ نَقَصُوا لَأَنْقَصَ مَنْ يَلِيهِمْ فَمَاذَا الْيَوْمَ كُنَّا مُدْرِكِينَ ٥
 وَمَنْ لِلنَّاسِ يَجْهَدُ كَيْ يَكُونُوا مَنَارَاتٍ فَأُخْرَى أَنْ يَكُونُوا ٥
 وَحِفْظُ الدِّينِ مِنْ رَبِّ حَفِيفٌ أَعَدَّ لَهُ كِرَامًا حَافِظِينَ ٦
 وَإِذْ مَانَ الصَّغَائِرُ قَدْ يُؤَدِّي لِأَبْوَابِ الْكِبَائِرِ أَجْمَعِينَ ٦
 وَمَنْ وَرَدَ الْكِبَائِرَ كَانَ أُخْرَى بِأَنْ يَسْتَدْبِرَ الْفَتْحَ الْمُبِينَا ٦

١ في الأبيات السابقة إلى هذا البيت بيان بعض الضوابط عند هؤلاء الأئمة فمنها اكتفائهم بالصحف ونحوها من أجل الأخبار ، وفي وقتنا تكفي مواقع الإنترنت النظيفة ، وأنهم كانوا يمتنعون عن التلفاز لما فيه من موسيقى ومنكرات وشورور ونساء فانتات تسلب دين الشخص حتى يصير مُدْمِنًا على الباطل ، وينبهر بالحضارة الزائفة ، وقد يحتقر بذلك حياة المؤمنين ، وكم من شخص من المؤمنين أشعث أعبّر قريب من الله يُنزل الله به المطر والنصر للناس كما في الحديث .

٢ واحتقار الصالحين كبيرة من الكبائر ولو كان الصالحون في نظر المُتَكَبِّرِينَ أراذل .
 ٣ التنازلات من بعض الناس بزعم الحفاظ على الدين وإظهاره مقبولاً زعم باطل ، لأن التنازلات انتقاصٌ للدين نفسه ، والمتنازل ناقصٌ لا يأتي منه الكمال .
 ٤ ولقد كان الصحابة كاملين في الجملة في تدبيرهم ولم يتنازلوا بحجة الحفاظ على الدين ، ولو مارس الصحابة التنازل ثم اقتدى بهم الذين من بعدهم في التنازلات .. فماذا كنا سندرك اليوم من الدين ؟ كان الدين سيزول تماماً من كثرة التنازلات .
 ٥ مَنْ يريد أن يصنع منارات وقيادات للناس فلا بد أن يكون هو شامخاً لا يتنازل .
 ٦ الإذمان على الصغائر وهو نوع من التنازلات يجبر صاحبه إلى الكبائر ، ومن وقع في الكبائر فلا يأتي على يده فتح بل تُصَيِّبُهُ فتنة في دينه ودنياه . وفي الأبيات التالية بيانٌ للمزيد من أضرار التنازلات .

وَيَخْشَى فِتْنَةَ شَعْرَاءَ تَغْشَى
 وَكُلُّ تَسَاهُلٍ مَرَضٌ وَيَيْلٌ
 فَيَمْرَضُ مَنْ يَسُوسُ بِمَا تَرَدَّى
 وَيَذُبُّ دِيْنَهُمْ شَيْئًا فَشَيْئًا
 وَقَبْضُ الْجَمْرِ فِعْلًا لَيْسَ سَهْلًا
 وَلَيْسَ النَّصْرُ يُطْلَبُ بِانْهَزَامٍ
 وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ صَيْدًا سَمِينًا
 وَلَيْسَ بِعَاجِزٍ مَنْ عَاشَ حُرًّا
 وَيَعْجِزُ أَنْ يَفُوزَ بِأَهْلِ سَبْقٍ
 وَمَا الْفَوْزُ الْمُبَارَكُ بِالتَّمَادِي
 وَلَا التَّكْتِيكُ فِي نَشْرِ التَّعَادِي
 وَتَقْوَى اللَّهِ تَفْتَحُ خَيْرَ بَابٍ
 وَكُلُّ شَأْنٍ دُونَهُ دُنْيَا
 وَإِنْ قَالُوا نَسُوسُ الْآخِرِينَ
 وَيَمْرَضُ بَعْدَهُ مَنْ يَتَّبِعُونَا
 وَلَا نَامَتْ غِيُونُ الْمُدْهِنِينَ
 وَبِالإِدْهَانِ كُلُّ قَابِضٍ وَنَا^١
 وَلَا الإِنْقَادُ مِمَّنْ يَغْرُقُونَا^٢
 وَقَدْ يَغْدُو هُوَ الصَّيْدَ السَّمِينَا^٣
 وَلَكِنْ مَنْ يَزْفُ الْعَاجِزِينَ^٤
 وَيَحْسَبُ نَفْسَهُ فِيهِمْ سَاجِدِينَ
 وَلَكِنْ بِإِزْدِيَادِ الزَّاهِدِينَ
 وَلَكِنْ بِإِتِّعَادِ الْآبَعِدِينَ^٥
 لِخَيْرِ سِيَاسَةِ دُنْيَا وَدِينَا

١ في زمان الغربة يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر ، وأما المداهن فمن السهل عليه أن يبيض على دين النفاق .

٢ المتنازلون منهزمون غارقون لا نصر ينزل عليهم ولا إنقاذ .

٣ المتنازل يظن أنه يقدم نجاحاً وهو يقدم فشلاً ويصبح صيداً للشيطان .

٤ ليس العاجز من يعيش حراً من الذنوب التي منها التنازلات ، ولكن العاجز من يوجد بالتنازلات جمهوراً يعجزون عن حمل الدين الكامل .

٥ ليس التكتيك الصحيح بنشر الخلافات والعداوات بين المسلمين بإيجاد تيار مُفتَحٍ متنازل يُغرق الكلمة ، ولكن التكتيك الصحيح يكون بجمع الكلمة على أخذ الدين كاملاً والابتعاد عن الأبعدين وهم الكفار وعن منهجهم .

وما تُغْنِي عَنِ الْأَسْبَابِ لَكِنْ
يُرَى النَّدْوِيُّ أَنَّ النَّصْحَ رُوحٌ
تُمَثِّلُ قِمَّةَ الْأَسْبَابِ فِينَا
وَالْأَلَا تَشِقُّ بِالصَّفِّ دِينَنَا
وَمَا وَصَفِي الْأَيْمَةَ كَيْ أُزَكِّي^٢
وَلَكِنْ مَا نَظُنُّ وَمَا لَقِينَا
بَنَيْتُمْ لَهُمْ مِنَ الْأَيَّاتِ بَيِّنَاتًا
لَيْسَ كُنْ نَهَجُهُمْ فِينَا مَكِينًا
لَعَلَّ اللَّهَ يَهْدِي الْحَائِرِينَ
وَيُدْخِلُنَا غَدًا فِي الصَّالِحِينَ
وَيُؤْوِينَا قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ
وَيَكْفِينَا عَدَاوَةَ كُلِّ عَادٍ^٣

* * *

١ انظر المقابلة مع الندوي في مجلة (الأمة القطرية) ، وفحواها أنه لا بُدَّ من النصيحة في كل جماعة إسلامية بالحكمة ، وأي جماعة أو صف لا يقبل النصيحة فلا يوثق فيه ديناً .

٢ أي لم أكتب هذه القصيدة لتزكية الأئمة الثلاثة ، ولكن لِنستفيد من سيرة كل واحدٍ منهم ، ولا نذكهم على الله .

٣ عادٍ : العادي هو المعتدي .